أهمية المكتبة في العصر الرقمي أو العصر الحديث

محمد فهمي ثاقب[1]
STAI Imam Syafi'i Cianjur
e-mail: fahmitsaqib05@gmail.com

محمد مشفق خازن[2]
STAI Imam Syafi'i Cianjur
mohmusyfiqkhazin@gmail.com

ملخص البحث

طرح هذا البحث الإشكالية والتحديات التي واجهتها المكتبات العلمية الإسلامية خاصة وكل المكتبات العلمية عامة أمام انفجار المعلومات في العصر الحديث، يمكن صياغة الأسئلة فيه على سؤالين، السؤال الأول ما هي التحديات التي واجهتها المكتبات أما الانفجار المعلوماتي؟ والسؤال الثاني ماهي أهمية تحديث المكتبة التقليدية للاستفادة من انفجار المعلومات في العصر الحديث؟ استخدم البحث منهجا تاريخيا فلسفيا أو عقليا، وأجري على طريقة الوصف والتحليل، يوصف فيها طبيعة المكتبات التقليدية في العالم الإسلامي خاصة، وطبيعة المكتبات في العصر الرقمي، ينتهي البحث إلى نتيجتين، الأولى: أن التحديات التي واجهتها المكتبة هو الوقوف أمام التضخم لا الغرق مع، وذلك بتحقيق وجه الأهمية التي يجب أن تستهدفها وهي تقوية الخدمات في تطوير المهارة في التعامل مع المعلومات لا الوصول إليها فحسب، وإن تحقيق هذه الأهمية رهين حل المشكلات التي أنتجتها ثورة المعلومات على الخصوص أو كل مشروع الحداثة على وجه عام. والثانية: إن الأهمية التي واجهتها المكتبات لأداء دورها كمركز للمعلومات والمعرفة، تكون أيضا في قدرتها على التحول إلى المكتبات لمستقبلية، وهي المكتبات الحية تتطور في ثلاث محاور: خدمات المكتبة ومجموعاتها ومرافقها النظامية، ويجب أن يشمل تطو هذه المحاور في المجالين لها وهو المجال الآلي والمجال الجوهري، وأما المجال الآلي يتمركز في أربعة أمور: ترقية الخدمات مستفيدا من التغيرات التكنولوجية، وإعطاء أولوية الخدمات للطلاب والموظفين، لإيجاد فرص للتركيز بالمجموعات الإلكترونية والمادية، وتحسين الكفاءة وفعالية الخدمات من خلال إعادة تحسين هندسة العملية، وضمان كون الخدمات ذات صلة وقيمة من خلال التعاون مع المستفيدين. وأما ترقيتها الجوهرية فقد يتمركز في خمسة أمور: تنسيق النظام المكتبي مع المناهج الدراسية لدعم محو الأمية، والمشاركة في تصميم المناهج الدراسية وتطوير المواد التعليمية وتقديم التدريب المهني لدعم التعلم والابتكار، والاستفادة من الموارد المفتوحة للتعليم والتدريس، وتعزيز تفاعل الطلاب من خلال توفير دعم أكاديمي متخصص، ودمج التكنولوجيا الحديثة مثل الواقع الافتراضي لإنشاء تجارب تعليمية مبتكرة.

كلمات مفتاحية: *المكتبة-العصر الرقمي- العصر الحديث*

[1] طالب تخصص تعليم اللغة العربية في جامعة الإمام الشافعي
[2] أستاذ اللغة العربية وآدابها في جامعة الإمام الشافعي

مقدمة

تميز العصر الحديث بكونه عصرا رقميا، باعتماده الأساسي على التكنولوجيا الرقمية وتقنيات المعلومات والاتصالات في مختلف الجوانب، وأخذت الحواسب الالكترونية والذكاء الصناعي والأجهزة الذكية محل الأوراق في نقل المعلومات، مما يؤدي إلى التسريع في نقلها و تكاثرها ليكون هذا العصر عصرا تضخم المعلومات، وصدرت فوارا الأتمتة[3] والموسوعات والثقافة الرقمية وتجارتها، ولعل من أبرز التحديات لهذا العصر الرقمي الإدمان التكنولوجي وفقدان الخصوصية، والتفاوت المعرفي بين الدول الذي أدى إليه الفجوة الرقمية أو تفاوت الوصول إلى تطورها، إضافة إلى التحديات الأمني أو يسمى بالأمن السيبراني. ويمكن تعريف البيئة الرقمية التي توفر معاير هذا العصر بأنها البيئة التي نتجت عن تطبيق التكنولوجية المختلفة في المؤسسات، وتفاعل الإنسان ومدى تقبله للتغييرات التكنولوجية الجديدة.(جودت, 2019, ص 266)

إن الانفجار المعلوماتي في العصر الحديث جعل من الباحثين يعيد النظر في طريقة نقل المعلومات التي مارسها المسلمون في العصور السابقة، فقد عرض العصر الرقمي خدمات في النشاط المكتبي، مثل النظام الالكتروني بدل السجلات البيبليوغرافية، وفتح المكتبات التي كانت تحفها الحيطان إلى فضاء التواصل الاجتماعي سواء كان على مستوى الدولة أو العالم، وظهرت المكتبات الرقمية تحل محل المكتبات التقليدية، ويمكن تعريف المكتبة الرقمية أو المكتبة الإلكترونية بكونها مكتبة تعتمد اعتمادا كليا على استخدام النظم المتطورة في اختزان المعلومات واسترجاعها وبثها إلى المستفيدين منها، يعتمد على التخزين الالكتروني وتقديم الخدمات المرتبطة بها، وتقديم التفاعل مع أفراد المستخدمين، تعطيهم الإمكانية على المشاركة في نشر إنتاجاتهم إضافة إلى التصفح والاطلاع.(غرامي, 2019, ص. 205; منير, 2011, ص. 14)

إن أهمية المكتبات في العصر القديم أو قبل الثورة التكنولوجية تتمثل في عدم انفصالها عن العلماء والكتاب المتخصصين في الفنون التي تحتويها كتب المكتبات، فلم يكن المكتبات عبارة عن مجموعة الكتب التي تم جمعها من عدة تخصصات، ولم يكن النشاط المكتبي عبارة عن ترتيب الكتب وترقيمها، بل كانت عبارة عن الاختيارات من الكتب وتعليمها معا من قبل مدرس أو شيخ، ومن هنا في بيان أهمية المكتبة يجب علينا مراجعة التعريفات المطروحة حول المكتبة. فقد قصر النظر إلى المكتبات الإسلامية في عصورها الزاهرة على مجرد المحتوى المادي المتمثل في المبنى والتجهيزات والأوعية ومصادر المعلومات وانتهاء بالمحتوى المعلوماتي المتمثل في الخدمات والأنشطة التي قدمها، كما بنى على هذ التعريف الباحثان نيمور وفوزية في ورقة بحثية كتباها بعنوان "الكتاب والمكتبات في العصر الرقمي: الواقع والتحديات"، مما جعلا وضعا المكتبات أمام الخيارين انتهاء الدور أو الانحياز إلى التضخم التكنولوجي.(فوزية, 2022, ص 545)

[3] Autamatism ومعناها الحرفي «ذاتي الحركة» أو «تلقائي الحركة»، بيد أنها تخص في الواقع مجالاً من مجالات العلم والتقانية يهتم بدراسة النظريات والتطبيقات المتعلقة ببنية منظومات التحكم التي تعمل من دون تدخل مباشر من الإنسان

كما أنه لا يمكن إبراز أهمية المكتبة حسب الميزات الإسلامية التي ظهرت عبر تاريخها، لا يمكن فقط من خلال بيان أهمية ارتباط البحث العلمي بخدمات المكتبات الرقمية، وإن ككان هذه ذات قيمة من الأهمية، لكن الاقتصار عليه ليس من سمة المكتبات الإسلامية، كما بينها منير الحمزة في رسالة تخرجه بعنوان "دور المكتبة الرقمية في دعم التكوين والبحث العلمي بالجامعة الجزائرية: المكتبة الرقمية لجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة نموذجا"، بل بالعكس ينبغي أن يكون البحث العلمي خارجا عن هيمنة الانفجار العلمي، وإن كان لا بد له أن يستفيد منه، بل البحث العلمي يجب أن يضع أولا نصب عينيه أمام التحليل وتنقية المعلومات عن طريق الاستفادة به وعدم إهمال الانتهاج منهج المكتبة الإسلامية عبر عصورها، ومن هنا خالفه الباحث في انتقاده للمكتبة الإسلامية الحديثة واعتبار نقصها أمام المكتبات الرقمية.(منير, 2008, ص. 427)

لا يهدف هذا البحث إلى توقع المستقبل من نموذج المكتبة الإسلامية، فإن ذلك ليس من هدف الدراسة الإسلامية التي نتبناها، واللحاق بنموذج الغير ليس غاية بحد ذاتها، وإنما هي استفادة إن احتجنا إليها، ونحن أمام ما نقل إلينا من الغير دائم النقد والتنقية، فليس الاستعداد لاستقبال هذا التغير من الهدف المطروح في هذا البحث، وإنما الهدف من هذا البحث أمام هذا التغير إنما هو في البحث عن طرق الاستفادة والابداع في الحفاظ على المنهج المكتبي الإسلامي بنيوية، ومن هنا خالف الباحث "مي كرم ياسين" في بحثه حول حاجة المكتبة العربية على الاستعداد للتساير إلى الطريقة الرقمنة وجعله هدفا أساسيا في تطور المكتبات، وهو بحث كتبه بعوان المكتبة الرقمية: المفاهيم والتحديات.(ياسين, 2022, ص. 9)

إن أهمية المكتبة في عصر من العصور كمصدر المعلومات للوصول إلى باء مجتمع معرفي لا ينفصل عن المتطلبات في كل عصر من عصورها، وقد أدى المسلمون في العصور القديمة دورهم في تنسيق المكتبة مع المتطلبات الراهنة في زمانهم، وذلك حاصل مع كون القدرات في زمانهم محدودة بالنسبة للتطورات في هذا الزمان، وكما سيعرض فيما بعد السر في هذا موقع المكتبة العميق في المجتمع الإسلامي، وأما فقد انتقل الزمان على هذا العصر الذي أتى المعلومات إلى العالم الإسلامي وانفجر من الخارج إلى داخل المجتمع الإسلامي، حتى أدى إلى الأزمة المعلوماتية، فقدرة التحليل والتمحيص لا بد أن يستفيد من التقنيات الحديثة التي تسهل من اختيار المعلومات بعد الوصول إليها، والوصول إلى تحديد الأهمية يكون من خلال التطرق إلى التعريفات التي طرحت والمفاهيم التي طرحت في تنمية الإدارة للمكتبات الحديثة من حيث المقتنيات غيرها.

ومن هذه الخلفية ومراجعة الدراسات السابقة وضع هذا البحث لتحديد التحديات التي واجهتها المكتبة الإسلامية أمام الانفجار المعلوماتي؟ وما هي أهمية تحديث المكتبة الإسلامية في للاستفادة من الانفجار الهائل للمعلومات؟

منهج البحث

استخدم هذا البحث منهج البحث التاريخي وهو منهج تعول عليه العلوم التي تدرس الماضي بسجلاته ووثائقه، والفلسفي أو ما يسمى بالمنهج الفلسفي وهو الاعتماد على العقل والارتكان

إلى التأمل على تفاوت في الدرجة فيما بينها، ورأى الباحث أن المنهج العقلي التركيبي الأفلاطوني والأرسطي هو الأنساب للكشف عن أسباب تاريخية بعد تبين أحداثها.(قاسم, 1949, ص. 355; محمد محمد قاسم, 1999, ص: 57 إلى 60)

والتاريخي فيه لمحاولة الكشف عن دور المكتبات العلمية في بناء النشاط المعرفي عبر العصور، منذ أن كانت المكتبات في صدور الأشخاص كما هو في بداية نزول الوحي، إلى أن صار مشروعا حكوميا يدعمه الخلفاء في فترة حكومتهم ثم العصر التكنولوجيا الذي صار المكتبات عبر الأجهزة الذكية في يد كل واحد من الناس المتعلم منهم وغير المتعلم، ومحاولة البحث عن ميزات المكتبة في كل عصر من العصور. وأما الفلسفي فيه فقد استعمل في البحث عن أسباب ظهور الميزات للنشاط المكتبي. يستعمل الباحث في هذا البحث طريقة البحث المكتبي، حيث جمع المعلومات من الكتاب والمواقع العلمية والمحاضرات والمقابلات التي عقدت في هذا الموضوع.

نظرة تاريخية في أهمية المكتبات وتحديد تحدياتها في العصر الحديث

1. تاريخ المكتبة الإسلامية وطبيعتها

تمثل العصر الرقمي في العالم الإسلامي أحدث تطور للطرق الذي استعملها المسلمون في نقل المعلومات أو تدوين العلوم، فقد كانت العلوم تحفظ عن طريق العلماء من الصحابة الذين يتلقون الوحي من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزوله إليه مثل أبي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهم من الصحابة، وتحفظ السنة النبوية كذلك عن طريق الرواة من الصحابة أمثال أبي هريرة وعبد الله بن عباس وعائشة بنت أبي بكر وأن بن مالك وغيرهم من الصحابة، يعتمدون في الحفظ على السماع المباشر والتكرار والتعليم والمراجعة الدورية والتسميع أمام النبي صلى الله عليه وسلم، ولم تكن الكتابة على شكل جمع المعلومات في ورقة أو كتاب بل كانت على ما تيسر من المواد البسيطة مثل الجلد والعظام وما تيسر من الأوراق، ومع ذلك فقد أدوا أداء لا يسبق عليه ولا يأتي بعه مثله في حفظ الوحي ونقله بين الناس وحل المشكلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المتمثلة في الفتوى الذي أصدروه للناس لحل مشكلتهم ونقلهم لمن بعده من الأجيال وإلى الأصقاع الإسلامية التي فتحت من جديد. وحدث تطور جديد بعد وفاة رسول الله في كتابة الوحي، فقد عمل أبو بكر الصديق بجمع ما كتب من الوحي، وجمع عثمان بن عفان القرآن في شكل مصحف لإرساله إلى الأمصار الإسلامية.(أبو شهبة, 1987, ص. 263; عتر, 1993, ص. 161 إلى 186)

ثم حدث التطور لمكتبة الإسلامية في عصر بني أمية (750-661م)، سيما في أواخرها، حيث أنشأت المكتبات في المساجد التي كانت تمثل المدارس إضافة إلى مكان العبادة، وفي بيت المال وقصر الخلافة ومن أهم المعالم المكتبية في هذا العصر النشاط العلمي وحفظ الكتب في المسجد الأموي الذي هو أيقونة التعليم في هذا العصر، ومن أهم الأسباب التي أدت إلى النشاط العلمي والمكتبي في هذا العصر، بداية الاهتمام بالفلسفة وتطور الشعر وبداية الترجمة عن الحضارات الأخرى ذات التراث العلمي والفلسفي مثل الفارسية واليونانية، وهي وإن لم تكن النشاط الأموي فيها لم تكن كالنشاط العباسي لكنه يعتبر أول حركات التبادل الثقافي بين

المسلمين وغيرهم من الفرس والروم واليونان.(فادية, 2020, ص. 41 إلى 42; محمد, 2022, ص 1239)

توسعت الدوائر المعرفية في العصر العباسي (750-1258م) أكثر من غيره، من بقية العصور، حتى يقال لهذا العصر عصرا ذهبيا، وأرجع ضياء الدين الريس هذا التطور في أواخر العصر الأموي وبداية إلى أواسط العصر العباسي إلى الهدوء المسلمين من الفتنة بالقوة، وركون العلماء للبحث والمناقشة بين الفرق الإسلامية التي صدرت اثناء الفتنة الكبرى بين سيدنا علي ابن أبي طالب وسيدنا معاوية بن أبي سفيان، وهي مناقشة الرأي بين السنة والخوارج والمرجئة والجبرية، مما جعل علماء الكلام يتوسعون في التأويل وجعل القرآن جوابا للإشكالية الصادرة عن الفرق الإسلامية، وأخذ علم الكلام والفلسفة دورا أساسيا في النقاش العلمي والكتابات العلمية بين المسلمين. ومن إثرها تأسست المكتبات العلمية في البلاد الإسلامية مثل مكتبة بيت الحكمة التي أسسها الخليفة هارون الرشيد، وصار مركزا علميا في عصر المأمون وجامع القيروان ومكتبة الأزهر التي تضم أنفس المخطوطات في شتى العلوم، مثل الطب والفلسفة والفلك والرياضيات والأدب اثرت الازدهار العلمي والارتقاء الثقافي في العالم الإسلامي، ولا يخفى تأثر النهضة الأوربية بما تضمنته هذه المكتبات. (فادية, 2020, ص. 41 إلى 42; محمد, 2022, ص 1239)

لم يكن النشاط المعرفي محصورا في الشرق الإسلامي، بل كان الأندلس أخذ دورا مهما في بناء الحضارة العلمية وتطور نشاط المعرفة الإسلامية، لا يقل دور قرطبة وطليطلة وغرناطة وسائر المدن الأندلسية عن دور بغداد والكوفة والبصرة ودمشق والقاهرة في الشرق، وموقع الأندلس المطل على المدن الكبرى الأوربية أثر على كثرة وشدة التبادل الثقافي بين المسلمين فيه والأوربيين، مما كون تأثيرا علميا بالغ النفوذ من الأندلس إلى المدن الأوربية. وأبرز دور فيه التفات رجال الكنائس الأوربية إلى أهمية دور العقل في إثبات وجود الله، أمثال تومس أكوينس الذي تأثر كثيرا بفلسفة ابن رشد. ومن أكبر المكتبات التي بنيت في الأندلس مكتبة الحكم الثاني الذي بناه الحكم بن هشام، ويقال أن مكتبة قرطبة ضمنة أكثر من أربع مئة ألف كتاب في مختلف العلوم ومكتبة الزهراء التي بناها عبد الرحمن الناصر، وهي مكتبة تقع في مدينة الزهراء في الأندلس.(زكي, 1936, ص. 27; علي, 2016; فادية, 2020; محمد, 2022, ص. 1275)

تتابع النشاط الإسلامي في بناء المكتبات بفضل اهتمام الخلفاء والعلماء في العصور التالية من المملوكية والأيوبية والعثمانية، فأسس السلطان الأيوبي العزيز بالله المكتبة العزيزية (1208 م) في القاهرة، وأسس صلاح الدين مكتبة مدرسة صلاح الدين في القدس سنة (1154 م) وأنشأت مكتبة الفاضلية في القاهرة ، وفي العصر المملوكي أنشأت السلطان الشرف قابتباي مكتبة المدرسة الأشرفية في القاهرة سنة 1154 م وأنشأت من خلال فترة العصر المملوكي مكتبة قبة السقيفة ومكتبة القصر الملكي في القاهرة، وبعد انتقال مقر الخلافة إلى تركيا ساهم العثمانيون في بناء عدة مكتبات مثل مكتبة السلان أحمد ومكتبة جامع السليمانية مكتبة السليمانية ومكتبة توكابي. (فادية, 2020, ص. 41 إلى 42)

وإذا حاولنا أن نستعرض البنية الأساسية لبنية المكتبة الإسلامية لم تكن المعتمد فيه هو كثرة المعلومات، وإنما هي نوعها، التي لا تصل إلا إلى الطبقات المناسبة لكل واحدة منها، والدليل على هذا الكلام ما كتب عن تاريخ المكتبات في عصورها قبل الحديث، لم يكن الكتابة عنها مجردا عن الرجال الذي يعلمون أو يؤلفون فيها. باعتبار أن وصول المعلومات القديمة إلى المتلقي لم يكن عبر إيصالها إليه، وإنما إيصاله إليها، والفرق بينهما كبير، فالباحث عنها هو الشاعر بالحاجة إليها، ولا يبحث إلا بعد معرفة قدرها، وهو يمتلك السلاح والعدة للوصول إليها وللتعامل بها، ولم تكن هذه القدرة موجودا عند من تأتيه المعلومات. ولعل ما يدل على هذه القضية ما كتبه أحمد بدوي حيث قال "وساعد على ازدهار حركة الإنتاج ما كان يستطيع أن يصل إليه العلماء في الدولة من أسمى المناصب ، ومالهم عند الشعب من إجلال وتقدير ، وما يظفرون به عند الخلفاء والسلاطين من تشجيع وتقريب وكان حكام ذلك المصر مثقفين ثقافة ممتازة ، ويحيطون أنفسهم بطبقة مصطفاة من المثقفين ، ويغدقون عليهم" (بدوي, 1951, ص. 246)

ثم إن المكتبة الإسلامية في عصور ازدهارها كانت نتيجة المدارس والاهتمام وحب المزيد من التطور العلمي، وكانت المكتبات بنيت على أساس الوعي الاجتماعي، وهو المجتمع المستقل بنفسه القوي ماديا ونفسيا، ولم يكن استيراد المعلومات إلى داخله عن انبهار أو شعور بالنقص تجاه الأمة المنقولة عنها، فكانت المكتبة رمزا للنتاج الذاتي، تأليف وابتكارا، ولعل الدليل عليه نشأة هذه المكتبات في بيوت الأفراد قبل أن يكون مجموعا في أدوار العلم، قال عبد الله إسماعيل الصوفي: عندما أطل القرن الثاني الهجري كانت مكتبات عديدة مزدهرة في بيوت العديد من الأفراد، وبعد أن استقرت الخلافة للعباسيين ظهر الميل إلى جمع الكتب، وأقبل المسلمون عليها إقبالاً منقطع النظير، وحققوا في مجال إبداعها وحفظها ونشرها تقدماً لم تحققه شعوب كثيرة أخرى، لقد كان إقبالهم على الكتب يشبه إلى حد كبير شغف الناس في عصرنا باقتناء السيارات والثلاجات والتلفزيون والفيديو والحاسوب، وكما يقاس إثراء الناس اليوم بمدى ما يملكون من عربات فاخرة، قدر الناس الثراء في ذلك العصر بمدى ما يملكون من كتب ومخطوطات. هذا من جانب الأفراد.(عبد الله إسماعيل الصوفي, 1996, ص. 67)

ولعل هذا ما يكفي لبيان طبيعة نقل المعلومات العلمية في العصور المكتبة الإسلامية، حيث تتمثل المكتبة نشاطا علميا بين يدي العلماء، تعتمد على تنقيتها بدلا من تكاثرها، ويحصل من خلال الوصول إليها لا وصولها إلى الناس، كما أن نقل المعلومات وحفظها مبني على الوعي الاجتماعي في كل طبقاتها، يدل عليه اهتمام الأفراد قبل الحكومة في جمع الكتب في بيوتهم قبل جمعها في الأدوار العلمية التي بنتها الحكومة، وأطلق الباحث على هذا النموذج من المكتبة بكونها "مكتبة تنظيم المعلومات" للتفريق بينها وبين المكتبات الحديثة التي تهتم بالجمع بغض النظر عن مدى استفادة القارئين عليه، وأطلق الباحث على مثل هذه المكتبات بكونها "مكتبة تضخم المعلومات".

2. نشأة وطبيعة انفجار المعلومات والمكتبة الرقمية في عصر الحداثة

أ) بذور الانفجار المعلوماتي، ومبدأ نشأته

وإذا أردنا استرجاع تاريخ هذا الانفجار الذي هو أبرز معالم عصر الحديث سنجد أن تاريخه بدأ تقريبا في عصر كتابة الموسوعات، وهي كتابٌ يجمع معلوماتٍ في كل ميادين المعرفة، أَو في ميدانٍ منها، مرتبةً ترتيباً هجائيّاً، يهدف إلى تجهيز المعلومات الكافية والمتاحة لكل طبقات المجتمع عوامه وعلمائه، والدافع الأهم فيه في الغرب هو محاولة التخلص من الاحتكار الكنسي، الذي ساد في ذلك الوقت. فالانتقال من القمع الديني الكنسي كان هدفا لانتشار المعلومات بين الإنسان الغربي، وكلما انتشرت المعلومات كانت فرصة التحرر من هذا القمع أكثر. أثارت موسوعة التنوير[4] وبريتانيكا[5] قلقا داخل الكنيسة الكاثوليكية إذ تتمثل الموسوعة نقدا للتعليم الكنسي والتشكيك في السلطة الكنسية، بما حملته من أفكار علمية وفلسفية جديدة ترفض السلطة المطلقة التي كانت تمارسها الكنيسة، فكانت الموسوعة أداة لتحرير المجتمع الغربي للخروج من القمع والدغمائية.

ومن هنا كانت بينة جدا الفرق بين الأساس المعلوماتي عند المسلمين والأساس المعلوماتي عند الغرب الذي تتمثل في تطوره الحالي في الثورة المعلوماتية، ويمكن صياغة هذا الأساس أو هذا المبدأ أن الأساس المعلوماتي في الإسلام لتزويد المجتمع المعلومات على حسب قدرتهم في استثمارها بينما الأساس المعلوماتي في الغرب هو توفير أكثر ما يمكن من المعلومات للمجتمع وسهولة وصولها إليهم.(العمري, 2020)

ب) انفجار المعلومات وتضخمها على أساس توسعتها ووصولها إلى كل الأفراد، الإيجابيات والسلبيات

جاء التطور الذي يليه بما يسمى بعصر المعلومات، وهي الموجة الثالثة، جاءت بعد الثورة الصناعية في أوربا، وجاءت موجتها إلى العالم الإسلامي. يعتبر مبدأ هذه الثورة أن مقياس التقدم للدولة إنما هو في قدرته وامتلاكه العدة والسلاح العلمي والتكنولوجي لمواجهة انفجار المعلومات، أدت موجة هذه الثورة إلى تغير سريع وفرضت نوعا جديدا من التكنولوجيا يحتاج إلى خبرة من المستوى العالي، كما أنه يتطلب القدرة على التحول من مهنة إلى أخرى واتخاذ القرار على خط الإنتاج المعاصر، وأكد كثير من كتاب الثورة المعلوماتية أن العصر المعلوماتي يحتاج إلى دور آخر من اختصاصي المعلومات وهو دور الحاجب أو المتحكم في تدفق الاتصال والمعلومات، ونحن لا شك بأننا نوافقهم على ذلك إلا أننا طرحنا لـ"الحاجب المعلوماتي" لا يكون إلا حاجبا نفسيا، وهو امتلاك أكثرية أفراد المجتمع القدرة على التعامل معها، إضافة إلى ما قالوه من أن التحكم هذا يمكن عن طريق التطورات التكنولوجيا الذي يعمل في تجميع المعلومات ومعالجتها واختزانها واسترجاعها ونقلها واستخدامها.

---

[4] أسسها الفيلسوف الفرنسي دينيس ديدرو Diderot (Denis) والفيلسوف جان لو رون دالمبير le Rond d'Alembert خلال حركة التنوير في القرن الثامن عشر

[5] أسست في اسكتلندا عام 1768 على يد ويليام بترسون. William Paterson (judge)

يمكن تعريف انفجار المعلومات بكونه تزايد المعلومات بمعدلات كبيرة جداً نتيجة التطورات الحديثة التي يشهدها العالم وبزوغ التخصصات الجديدة وتداخل المعارف البشرية. تحل المعلومات في كل نطاق الحياة وفي كل مداخله. (عودة, 2000, ص. 13)، قلنا: إذا كانت الحضارة الغربية تهدف من خلال نشر المعلومات، أن تكون زادا لحل المشكلات الاجتماعية، فلم يكن الحل فيها في تضخم المعلومات، بل كانت التضخم صار أزمة، إذ أعطى التضخم فرصة للكلام فيما لا ينبغي أن يتكلمه، وعند ذلك لم يكون الإتاحة وسهولة الوصول مفتاح الإفادة لها، كما هو مكتوب في كثير من المراجع عن الثورة المعلوماتية.

وما زالت الإيجابيات التي يعتبرها رواد هذه الثورة لا تحل مشكلتها الأساسي بما يتعلق بالمعلومات في دعمها للمعرفة وحل المشكلات التي أنتجتها الموجة الثورة الصناعية قبلها، من الانحلال الأخلاقي، وعدم التكافؤ في انتشار المعلومات كما كانت الفجوة بين الدول في التقدم الصناعي بانحصار التقدم في الدول المتطورة وبقاء الدول النامية تابعة لها، بل يعتبر التقدم المعلوماتي والصناعي قبله عبارة عن محاولة السيطرة على الضعفاء بحجبهم عن التطور في المجالين، كما أن هذا الانفجار ساهم في نشر معلومات خام تفتقد للدقة وفي الكثير من الأحيان تفتقد للموضوعية خاصة مع بروز ظاهرة تسليع المعارف التي أبعدت المعرفة من أهدافها وحولت إلى سلع لترويج اتجاهات. وإن رواد هذه الثورة أظهر من الإيجابيات ما تنفعهم وما هي تتوفر عندهم، مثل كونها رابطة العالم بنظام معلوماتي واحد، وتوفير ما يحتاجه الإنسان من المعلومات بسرعة، وحصول التطور الهائل في مجال تقنية المعلومات والاتصالات من حيث كمية تخزين المعلومات وسرعة معالجتها واسترجاعها، وحل الذكاء الصناعي محل الإنسان في الإبداع، واعتبار هذه الظاهرة وهي ظاهرة الانفجار المعلوماتي ظهور عالم جديد يسمى بالعصر المعلوماتي.(جودت, 2019, ص. 270; عبد الله إسماعيل الصوفي, 1996, ص. 571; ومرزوقي, 2023, ص. 23)

ج) تحديد أهمية المكتبة في القدرة على التعامل والاستثمار لا الوصل فحسب

ومن هنا ينبغي التأكيد بأن المكتبة يجب أن تحل المشكلات التي لا تحلها الثورة المعلوماتية، لا الغرق فيما غرقت فيه الثورة المعلوماتية، وبالتحديد تكمن الأهمية في كونها تحل مشكلة قلة المهارة في استثمار المعلومات، إضافة إلى سهولة الوصول إليها، وقد سبق القول بأن المكتبات الإسلامية كانت تضع هذا الهدف أول أهدافها قبل جمع المعلومات وإيصالها على الناس، وإن مهارة استثمار هذا جعل الإنسانية في مقام أعلى من مقام المعلومات، لا تسيطر عليهم، بل يسطر عليها، ولا شك أن هذا الهدف لم يكتمل ولن يكتمل بما تزودت المكتبات من النظام مثل الأتمتة والتقنية فحسب، كما هو منشود من قبل كتاب الثورة المعلوماتية(فلوايدي, 2014, ص 11)، إذ أن المشكلة الكبرى لمن يستفيد بالمكتبة ليست هي التعب في الحصول على المعلومات فقط، بل أيضا في التعامل معها بعد الحصول عليها وهي مهارة الاستثمار.

الاستغلال الأمثل للمعلومات الصادرة عن الفضاءات، من أكبر تحدي المكتبات في العصر الرقمي، باعتبار أن تسعين بالمائة من هذه المعلومات لا قيمة لها بسبب عدم التحكم فيها، في ظل التنوع غير المحدود للمصادر، وتعدد البدائل المنافسة، والانتشار الكبير للدوريات والكتب الإلكترونية؛ وبناء عليه فإن توفير المعلومات عن طريق تجهيز الآليات، لتسهيل الوصول

والاختيار له دور لا ينكر للملاحظة والتحليل والقدرة في التأمل والتفكر لما يتلقاه من المعلومات، الذي يصل بها الإنسان إلى فهم الأحداث لا مجرد مواكبتها. إن طرح الاستفادة من التقنيات الحديثة لا يمثل الطرح الوحيد في كون المكتبات ينبع العلم والمعرفة، وإلا فإن المسايرة لهذا الانفجار أزمة نزيد على أزمتها، وإنما الاهتمام بالتقنيات الحديثة بجانب تقوية المهارة في التعامل سيقصر الطريق إلى المحاور الثلاثة التي ظهرت في عصر الرقمي وهي: ظهور مجتمع المعلومات، وهي عندنا لا تستلزم ظهور مجتمع معرفة، وظهور أشكال جديدة من المصادر، وظهور كل أنواع التسهيلات والخدمات في المكتبة والبحث عن المعلومات. ونحن في هذا البحث طرح التقدم في قدرة التحليل بجانب تقوية الطريق للوصول إلى المعلومات. (عمران, 2017, ص 25) ونحن نراهن تحقيق كون المكتبية مكان الابتكار والإبداع كما هو منشود بين كتاب الثورة المعلوماتية بما طرحناه من تقوية قدرة التعامل مع المعلومات لا الوصول إليها فحسب.

وفي ظل التغيرات التي حصلت في المجال المكتبي قال كو جزويل (Cogswell) في بيان تطور مصطلح إدارة المقتنيات ، بداية بمقال ليندن فريدريك عام ١٩٨٠ الذي أشار فيه إلى أن مصطلح تنمية المقتنيات لم يعد المصطلح المناسب ؛ نظراً لأن القائمين على إدارة المقتنيات حالياً يقومون بأنشطة عديدة كالاختيار والمشاركة فى المصادر وبالتزويد وصيانة وحفظ المجموعات وبالميزانية ، وفى الوقت نفسه كيفية البحث عن سبل زيادة الأموال التي تنفق على هذا النشاط ، وأن إدارة مقتنيات المكتبة البحثية الحديثة ، هي برنامج يعكس الإدارة المنهجية لتخطيط وتمويل وتقييم واستخدام مقتنيات المكتبة على فترة طويلة من الزمن ؛ للاستجابة لأهداف المؤسسة التي تتبعها المكتبة. وأن هناك ثمان وظائف على الأقل على درجة كبيرة من الأهمية في إدارة المقتنيات، وهي : (أ) التخطيط ووضع السياسة، وتحليل المقتنيات، اختيار المواد، وصيانة المجموعات، والإدارة المالية، وحلقة اتصال مع المستفيدين، والمشاركة في المصادر، وتقييم البرنامج.(Cogswell, 1987) .

تتجه المكتبات الأكاديمية تحديات وفرصا متشابهة، تقتضي عليها استكشاف الاتجاهات المستقبلية لمساعدتها في الاستمرار في تحقيق أهدافها في دعم التعليم، ومشروع مكتبة المستقبل في جامعة أديلايد مثلا عمليا لهذا التوجه، تتمركز خطط المشروع في عدة محاور، خدمات المكتبة خدمات المكتبة: وهو تحسين الخدمات العامة، وتعزيز دعم التعلم والتعليم والبحث. ومجموعات المكتبة: تضمين الموارد المادية والمصادر الرقمية، مع تعزيز الدعم عبر الإنترنت. منظمة المكتبة: وهي التركيز على قيم المكتبة، ثقافة الموظفين، الهيكل التنظيمي، والقيادة. ومرافق المكتبة والنظم: تطوير المرافق والنظم التقنية في جميع الفروع. بدأت تنفيذ تغييرات متعددة منذ عام 2017. والهدف من هذه التغييرات هو خلق مكتبة جديدة حية، تستمر في دعم الن العلمية مع تعزيز الابتكار. ولا بد أن تكون الخدمات للمكتبات المستقبلة ذو طابع ثنائي في تحسين إيصال المعلومات والتنسيق مع المؤسسات التعليمية لخلق متلق قادر على الاستفادة من الانفجار المعلوماتي وكل الوسائل المطروحة لنشر المعلومات وتلقيها، طرح جرجس الخدمات المستقبلية، ويمكن أن يصنف طرحه على الخدمات الآلية للمكتبة والخدمات الجوهرية لها لتعزيز قدرة المتلقي، وأما الخدمات الآلية فهو يتمركز في أربعة أمور: ترقية الخدمات مستفيدا من التغيرات التكنولوجية، وإعطاء الخدمات للطلاب والموظفين، لإيجاد فرص للتركيز بالمجموعات الإلكترونية والمادية، وتحسين الكفاءة وفعالية الخدمات من خلال

إعادة تحسين هندسة العملية، وضمان كون الخدمات ذات صلة وقيمة من خلال التعاون مع المستفيدين. وأما الخدمات الجوهرية التي تهدف إلى تعزيز قدرة المتلقي فقد يتمركز في خمسة أمور: تنسيق النظام المكتبي مع المناهج الدراسية لدعم محو الأمية، والمشاركة في تصميم المناهج الدراسية وتطوير المواد التعليمية وتقديم التدريب المهني لدعم التعلم والابتكار، والاستفادة من الموارد المفتوحة للتعليم والتدريس، وتعزيز تفاعل الطلاب من خلال توفير دعم أكاديمي متخصص، ودمج التكنولوجيا الحديثة مثل الواقع الافتراضي لإنشاء تجارب تعليمية مبتكرة.)جرجس, 2022, ص 119(

الخاتمة.

1. إن التحديات التي واجهتها المكتبات الإسلامية بشكل خاص أو كل المكتبات العلمية، في كونها يجب أن يكون محلا للتحكم بالمعلومات أمام الموجة التي سببتها الانفجار المعلوماتي، لا الغرق فيها باستخدام الأدوات المادية التي تظهر بمظهر الداعم للانفجار، باعتبار أن التدفق المعلوماتي التي حصلت وما أنتجتها من التقدم التكنولوجي في الاتصالات ونقل المعلومات لا تحل المشكلات التي سببتها الحداثة بكل موجاتها، وهي الأزمة الأخلاقية، والتفاوت في الخدمات ووصول المعلومات والفجوة بين الدول النامية والدول الكبرى التي تمتعت بالتطور التكنولوجي والمعلومات. ويمكن تحديد الأهمية التي يجب أن تحققها المكتبات العلمية هو تنمية الخدمات في بناء وتطوير المهارة في التعامل مع المعلومات لا الوصول إليها فحسب، وإن تحقيق هذه الأهمية رهين حل المشكلات التي أنتجتها ثورة المعلومات على الخصوص أو كل مشروع الحداثة على وجه عام، وإن المسلمين أولى بأن يكون رائدا لهذا الهدف بفضل تاريخهم في بناء المكتبات، على نموذج التحكم والتنظيم المعلوماتي لا التضخم.
2. وفي عصر التحول المكتبي من الورقية إلى الالكترونية، وتحول مفاهيم إدارة التنمية للمكتبات الحديثة تتحد أهمية المكتبات الحديثة في القدرة لمجاراة هذا التحول وهو التحول لا إلى التقنية فقط وإنما في الاستفادة من المفاهيم الجديدة للمكتبة حيث تتصور المكتبات المستقبلية في كونها مكتبة حية من خلال التركيز على الترقية في المحاور الثلاثة الخدمات والمجموعة والمرافق، وينبغي أن يكون التطور فيها داخل في الجانبين الجانب الآلي والجانب الجوهري، ويمكن تفصيل ترقية المحاور الثلاثة فيما الأمور التالية، تطويرها في المجال الآلي يتمركز في أربعة أمور: ترقية الخدمات مستفيدا من التغيرات التكنولوجية، وإعطاء الخدمات للطلاب والموظفين، لإيجاد فرص للتركيز بالمجموعات الإلكترونية والمادية، وتحسين الكفاءة وفعالية الخدمات من خلال إعادة تحسين هندسة العملية، وضمان كون الخدمات ذات صلة وقيمة من خلال التعاون مع المستفيدين. وأما وأما ترقيتها الجوهرية التي تهدف إلى تعزيز قدرة المتلقي فقد يتمركز في خمسة أمور: تنسيق النظام المكتبي مع المناهج الدراسية لدعم محو الأمية، والمشاركة في تصميم المناهج الدراسية وتطوير المواد التعليمية وتقديم التدريب المهني لدعم التعلم والابتكار، والاستفادة من الموارد المفتوحة للتعليم والتدريس، وتعزيز تفاعل الطلاب من خلال توفير دعم أكاديمي متخصص، ودمج التكنولوجيا الحديثة مثل الواقع الافتراضي لإنشاء تجارب تعليمية مبتكرة.

فهرس المراجع

Cogswell, J. A. (1987). Organizing the Collection Management Function in Academic Libraries. *Academic Librarianship*, *13*, 268–276.

أبو شهبة. (1987). *المدخل لدراسة القرآن الكريم* (ط. الرابعة). دار اللواء للنشر والتوزيع.

العمري, ع. م. (2020). *مناقشة أطروحة الدكتور طه عبد الرحمن التجديدية*. Motion Sunnah. https://www.youtube.com/watch?v=ZqnNlw_9joA&t=3061s

بدوي, أ. (1951). المكتبة العربية. *الرسالة*, *مجلد 1* (عدد 192). https://archive.alsharekh.org/Articles/30/11857/233269

جرجس, ن. و. (2022). المكتبات الجامعية وتحديات العصر. *المؤتمر الثالث عشر للاتحاد العربي للمكتبات و المعلومات*, 119. https://search.emarefa.net/ar/search?append=SOURCE_s%3A%223%2358%26%2358%26%2B+إدارة+المعلومات+في+البيئة+الرقمية+%26%2358%26%2B+المعارف+و+الكفاءات+و+الجودة+وقائع+المؤتمر+الثالث+عشر+للاتحاد+العربي+للمكتبات+و+المعلومات،+بيروت،+29+أكتوبر-1+نوفمبر+2002+بالتعاون+مع+جمعية+المكتبات+اللبنانية%22

جودت, م. ا. و. (2019). *المكتبات ومهارات العصر الرقمي : الإطار العام للمعلومات والعصر الرقمي ... المكتبات الجامعية ومبادرات تحقيق النفاذ الحر للمعلومات وتداولها في ظل البيئة الإلكترونية* (أولى). مؤسسة شباب الجامعية.

زكي, ن. (1936). *قصة الفلسفة الحديثة* (الأولى). مطبعة التأليف والترجمة والنشر.

عبد الله إسماعيل الصوفي. (1996). الكتاب والمكتبة في الماضي والحاضر. *الجديد*, *مجلد 11* (عدد 1). https://archive.alsharekh.org/Articles/6/170/372526

عتر, ن. (1993). *علوم القرآن الكريم* (ط. الأولى). مكتبة الصباح.

علي, ح. ع. ا. م. (2016). النظرية الأخلاقية في فلسفة القديس توما الاكويني. *مجلة العلوم الإنسانية*, *3*(23), 1286–1315. https://www.iasj.net/iasj/article/130215

عمران, ز. (2017). مجتمع المعلومات وآفاق المستقبل في الوطن العربي. *الأستاذ*, *مجلد 1* (عدد 13), 71–87. https://uot.edu.ly/downloadpublication.php?file=C1G_mMPY29701663064291_pub.pdf

عودة, م. م. (2000). *المكتبة المدرسية في مواجهة ثورة المعلومات* (ط. الأولى). دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني.

غرامي, و. (2019). *تكنولوجيا المعلومات في المكتبات* (ط. الأولى). ديوان المطبوعات الجامعية.

فادية. (2020). اشهر المكتبات في الحضارة الاسلامية. *مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع*, *مجلد 1* (عدد 50). https://doi.org/10.33193/jalhss.50.2020.19

فلوايدي, ل. (2014). *مقدمة قصيرة جدا : المعلومات* (ع. ا. يس (محرر); م. س. طنطاوي (مترجم); الأولى). مؤسسة هنداوي.

فوزية, ن. و. (2022). الكتاب والمكتبات في العصر الرقمي: الواقع والتحديات. *مجلة التدوين*, *مجلد 14*(عدد 1). https://asjp.cerist.dz/en/article/198858

قاسم, م. (1949). *المنطق الحديث ومناهج البحث* (الثانية). مكتبة الأنجلو المصرية.

محمد, ر. (2022). المكتبات في الحضارة الإسلامية : أنواعها، تنظيمها دورها ومساهمتها في التطوير والتحضر للعالم العربي الإسلامي وتأثيرها على مكتبات الغرب المسيحي. *مجلة المعيار*, *مجلد 26*(عدد 3). https://asjp.cerist.dz/en/article/185688

محمد محمد قاسم. (1999). *المدخل إلى مناهج البحث العلمي* (ط: الأولى). دار النهضة العربية.

منير, ا. (2008). *دور المكتبة الرقمية في دعم التكوين والبحث العلمي بالجامعة الجزائرية المكتبة الرقمية لجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة نموذجا* [جامعة منتوري قسنطينة]. https://archive.org/details/library-elhamma-562021

منير, ا. (2011). *المكتبة الرقمية والنشر الالكتروني للوثائق* (الأولى). دار الألمغية للنشر والتوزيع.

ومرزوقي, ج. ا. (2023). الممارسة البحثية في ظل الانفجار التكنولوجي والمعلوماتي. *دفاتر علم الإجتماع*, *مجلد 10*(عدد 1).

ياسين, م. أ. (2022). المكتبة الرقمية: المفاهيم والتحديات. *المجلة العربية للنشر العلمي*, *مجلد 1*(عدد 48). www.ajsp.net